



مركز البيان للدراسات والتخطيط  
Al-Bayan Center for Planning and Studies

# تحديات الشمال: التدخلات الأمريكية والتركيّة وموقف الكرد، الاستجابات الممكنة

عقيل سعيد محفوض



سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

## عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركزٌ مستقلٌّ، غيرٌ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلولٍ عمليّةٍ جليّةٍ لقضايا معقدةٍ تهّمُ الحقلين السياسيين والأكاديميين.

### ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنما تعبّر عن رأي كاتبها.

حقوق النشر محفوظة © 2022

[www.bayancenter.org](http://www.bayancenter.org)

[info@bayancenter.org](mailto:info@bayancenter.org)

Since 2014

## تحديات الشمال: التدخلات الأمريكية والتركيّة وموقف الكرد، الاستجابات الممكنة

عقيل سعيد محفوض\*

مقدمة

يجعل ما يحدث في منطقة الجزيرة السورية وشمال العراق من متوالية أحداث سياسية وعسكرية الحدث الإقليمي أكثر «لا يقينية» وغموضاً، إذ تجري أمور من الصعب توقعها أو تدبير استجابات مناسبة حيالها، مثل أن «يتحوّل الموقف» بين الولايات المتحدة وتركيا، تناهراً، لكن من دون قطيعة، وتقارباً، لكن من دون توافق تام.

ومن ذلك أيضاً، أن يُظهر الكرد «تفهماً» و «قبولاً» متردداً للتفاهات والخطوات الأمريكية حيال تركيا في شمال سورية والعراق. ويبدون استعداداً متزايداً وغير مسبوق لـ«التوافق» مع الأخيرة على «ضبط» عوامل التوتر بينهما. وتنسيق الموقف من مناطق سيطرة تركيا والجماعات الموالية لها في شمال سورية وشمال غربها. وأن يُظهر كرد العراق مزيداً من «التوافق» مع أمريكا وتركيا في الموقف حيال الدولة المركزية في بغداد، وبالطبع حيال طهران ودمشق.

ولكن تركيا والولايات المتحدة لا تلعبان بمفردهما، إذ ثمة سورية الراضية للتدخل التركي والأمريكي، وكذلك حليفا سورية الرئيسيين روسيا وإيران، فضلاً عن الكرد والعرب في شرق الفرات الراضين للتدخل التركي، ووجود فواعل وجماعات وقوى مسلحة من لبنان والعراق وغيرهما (بإشراف الحرس الثوري الإيراني) في منطقة «خط الفرات»، وبعض مناطق الحدود بين سورية والعراق. والعراق نفسه الذي يشهد انقساماً حاداً نسبياً حيال التدخلات الأمريكية والتركيّة في شؤونها، وكان أجهض -منذ بعض الوقت- محاولة الانفصال الكردية في الشمال<sup>1</sup>، وما يزال يعاني من تجاذبات حادة مع أربيل.

تنطلق الورقة من أنّ التوافق الأمريكي-التركي على «ضبط الموقف وإدارته» في منطقة الجزيرة

1. عقيل سعيد محفوض، «تداعيات استفتاء كردستان العراق على تركيا وإيران؟»، الميادين، (4 تشرين الأول/أكتوبر 2017).

\* باحث وأكاديمي.

السورية، ومزيد من التوتُّر العسكري التركي في شمال العراق، والحضور الإسرائيلي متزايد التأثير في مناطق سيطرة "قسد" في الجزيرة السورية، ومناطق الإقليم الكردي في شمال العراق؛ يمثِّل أحد التحديات الحرجة لسورية والعراق، وبالطبع إيران، وهذا ما يستدعي أو يستثير استجابات متناسبة حياله، الأمر الذي يهدِّد المنطقة بمزيد من التوتُّر والانفجار.

ويحيل الموقف في الشمال إلى محاولات تركية وأمريكية (وإسرائيلية)، كلٌّ وُفق أولوياته، لإحداث تغييرات في السيطرة والجغرافيا والاستقطاب والتحالفات وموازين القوى، ومن ذلك مثلاً محاولة «فتح الأبواب» بين مناطق سيطرة "قسد"، بإشراف أمريكي، ومناطق جبهة النصرة، بإشراف تركي؛ والدفع لاتفاق بين «قسد» و«المجلس الوطني الكردي» السوري الموالي لتركيا، وبين «قسد» والإقليم الكردي شمال العراق المتحالف مع أمريكا وتركيا، ويمثِّل قاعدة استهداف إسرائيلية ضد إيران.

وقد يجري كل ذلك -بالنسبة لتركيا- في أفق سياسات بعيدة المدى، لضبط الموقف في منطقة الجزيرة السورية، بـ«تفكيك» أو «احتواء» الكيانية فيها، وإن لم يكن، فتهيئة الظروف (وتكييفها)؛ لجعل الوضع القائم في منطقة الجزيرة، غير معادٍ لتركيا، على غرار الإقليم الكردي في شمال العراق، بالتوازي مع اقتطاع أجزاء أخرى من الجغرافيا السورية لصالح تركيا و/أو الجماعات الموالية لها، إن أمكنها ذلك. فضلاً عن الاعتداءات التركية المتكررة في شمال العراق، وتعزيز القواعد العسكرية التركية هناك، والتهيئة لبقاء مديد فيها<sup>2</sup>. ويتطلَّب ذلك التحدي استجابة مرَّبة وعاجلة ونافذة -ما أمكن- من قبل سورية والعراق والفواعل الأخرى المتضرِّرة.

### أولاً- الوضع في الشمال/شرق الفرات

تمثِّل منطقة الجزيرة حيزاً تتجاذبه تفاعلات ومنافسات وتدخلات بين فواعل رئيسة: الولايات المتحدة التي تقيم قواعد عسكرية، وتسيطر على مناطق النفط، وتعزِّز الكيانية التي أعلنتها «قسد» في المنطقة. وتركيا التي تسيطر على قسم كبير نسبياً من مناطق الحدود، وتهدد بالهجوم على مناطق سيطرة "قسد"، وتفكيك الإدارة الذاتية، وتهدد إمدادات المياه والكهرباء، وتستهدف بصورة

2. ثمة دالة ارتباط قوية ومباشرة بين التدخُّل التركي في شمال شرق سورية وشمال العراق، تحيل إلى الأطماع التاريخية في جغرافيا البلدين، ارتباطاً بالخرائط العثمانية السابقة وخرائط أو حدود ما يعرف بـ«الميثاق الملي». انظر مثلاً: محمد نورالدين، «إلى حدود «الميثاق الملي»... دُرْ!»، «الأخبار»، (8 تشرين الأول/أكتوبر 2018).

متكررة قيادات «فسد» وقواعدها، بالهجمات المباشرة أو عن طريق الجماعات المسلحة السورية التابعة لها.

و«الإدارة الذاتية» المعلنة من جانب واحد، وذراعها العسكرية «فسد»، والصحيح هو العكس، أي أن «الذراع العسكري» هي التي أقامت «الإدارة الذاتية»، وتسيطر على مناطق الجزيرة، وتعمل على تشكيل بني «سلطة بديلة»، وتقيم علاقات وتفاعلات مع الخارج، برعاية أمريكية.

والدولة المركزية في دمشق، وهي موجودة في البنى والمؤسسات الخدمية، فيما تقتصر السيطرة الأمنية على مناطق أو أحياء في مدينة القامشلي والمطار الذي توجد فيه قوات روسية أيضاً، ومدينة الحسكة وبعض أطراف الرقة، ومدينة دير الزور وبعض أطرافها. فضلاً عن نقط انتشار مختلفة للجيش السوري في عدد من خطوط الانتقال والطرق والمعابر الرئيسية.

وثمة قوات إيرانية أو قوات تعمل بإشراف «فيلق القدس» في «الحرس الثوري الإيراني» مثل تشكيلات «فاطميون» و«زينبيون» و«الحشد الشعبي» العراقي في مناطق الحدود ومناطق خط الفرات. وجماعات «داعش» التي تنشط في مناطق مختلفة من منطقة الجزيرة، لكن تمركزها في مناطق بين خط الفرات ومنطقة «التنف» التي تقيم أمريكا قاعدة عسكرية فيها.

وأثار إعلان الرئيس الأمريكي (آنذاك) «دونالد ترامب» عن الانسحاب العسكري من شرق الفرات، والتفاهم مع تركيا بشأن «إدارة المناطق» التي يتم الانسحاب منها، موجة تقديرات ومواقف عن الخطوة التالية في تلك المنطقة، وما إذا كان سوف يعقبها: اتفاق بين دمشق وكردها يفضي إلى عودة سلطة الدولة إلى مناطق سيطرة «قوات سورية الديمقراطية» أم أن الولايات المتحدة سوف تفرض على الكرد القبول باتفاقها مع تركيا حول إقامة «منطقة آمنة»<sup>3</sup>؟

لكن أمريكا لم تغادر، بل عملت على زيادة وجودها العسكري، وتمكين سيطرتها على المنطقة، مباشرة أو عن طريق «فسد». وما حدث فعلياً هو اتفاق جزئي بين دمشق وكردها لانتشار قوات سورية في بعض المناطق، ولم تلتزم «فسد» بإكمال ذلك، بل عادت إلى «التضييق»

3. قالت واشنطن في مرحلة لاحقة للإعلان عن الانسحاب، إنَّ الحَلَّ بين تركيا والقوات الكردية هو إقامة «منطقة آمنة» على الحدود، وقد قبلت تركيا بالمقترح، وأعلنت أنَّها سوف تتولَّى إقامة المنطقة المذكورة.

و«الابتزاز» ضد دمشق. وحدث تدخّل أمريكي بين «قسد» وتركيا لضبط إيقاع التوترات بين الطرفين، في ظل علاقات وتفاعلات اقتصادية وأمنية وإمدادات النفط وحركة الأشخاص والبضائع وغيرها بين مناطق سيطرة «قسد» ومناطق سيطرة تركيا، بل بين مناطق سيطرة «قسد» وتركيا نفسها، التي لم تنقطع الحركة بينها.

ولا يغير من ذلك كثيراً وجود توترات واستهدافات عسكرية بين الأطراف المذكورة، إذ إنّ ما يجري ليس اتفاقات نهائية، وهو محكوم برهانات وتداخلات كثيرة يحاول الأمريكي إدارتها وضبط تطوراتها، بين حليفه الرئيسين («قسد»، تركيا)، بكيفية تحقق رهاناته الكبرى في المنطقة.

### ثانياً- أيُّ تهديدٍ في الشمال؟

إذا ما استمر التفاهم بين الولايات المتحدة وتركيا حول محاولة إقامة «منطقة آمنة» أو «منطقة عازلة» على الحدود في الشمال السوري، فمن المحتمل أن تقوم تركيا بتوسيع تدخّلها العسكري واحتلال أو تهديد مزيدٍ من الجغرافيا في مناطق حدودية من ثلاث محافظات سورية هي: الحسكة والرقّة وحلب.

وكانت تركيا أعلنت أنّها بصدد إقامة «منطقة عازلة» بعمق (30 كم) داخل الأراضي السورية<sup>4</sup>، على طول خط الحدود بين سورية وتركيا، وعلى جانبي خط الفرات: «شرق الفرات»، المعروف بأنّه دائرة عمل وتحرك القوات الأمريكية، و«غرب الفرات» المعروف بأنّه دائرة عمل وتحرك القوات الروسية. ودخلت تركيا -من أجل ذلك- في مداولات مع أمريكا بشأن التدخل العسكري في شرق الفرات، ومع روسيا بصدد الاعتداء والتدخل العسكري في غرب الفرات. ولكنّها لم تحصل على موافقة (كارت بلانش)، أو أنّها حصلت على موافقات مشروطة، وغير نهائية!

إنّ التدخّل التركي في شمال سورية وشرق الفرات، حتى لو كان محدوداً، يهدّد بـ:

- خسارة الدولة السورية مزيداً من الجغرافيا والسكان والموارد، لا قبّل لها بتحمّلها.
- «تثبيت» ما جرى في مناطق «درع الفرات» و«نبع السلام»، وإدلب وعفرين من سيطرة و«تتريك».

4. «أردوغان: تركيا لا تريد إزعاجاً من المنطقة الأمنية في سوريا»، الشرق الأوسط، (5 حزيران/يونيو 2022).

- يفتح فصلاً جديداً في التّدخلات والأطماع والاقنطاع الجغرافي من قبل تركيا.
- ثم أنّ الهدف ليس خلق «مناطق عازلة» أمنية وعسكرية فحسب، وإنما «كيانات خاصة» أو «انفصالية» أو «شبه انفصالية» أيضاً، بل خلق «بني سلطة بديلة» للنظام السياسي والدولة في دمشق.

يكن لوجود «سلطة هجينة» في منطقة الجزيرة توالي تركيا أو/وأمریکا، بمشاركة فواعل كردية وعربية ومرتقة من المنطقة المذكورة وغيرها أن يعقبه تكوين تنظيمات وقوات وأذرع مسلحة يكون هدفها السيطرة على الجغرافيا السورية ككل، ومنها إلى استهداف حلفائها، بما فيهم إيران وروسيا؛ ولهذا منعكسات بالغة الخطورة على العراق، الذي يشهد واقعاً كردياً انفصالياً، مع عوامل تدخّل خارجية، أمريكية وإسرائيلية وتركية وغيرها؛ وهو واقع معقد، ولا يبدو أنّه قابل للحل أو التسوية في الظروف الراهنة.

### ثالثاً- موقف الولايات المتحدة

تحاول الولايات المتحدة إبقاء شرق الفرات خارج سيطرة الدولة السورية، والمحافظه المديدة والعميقة على الكيانية الكردية في شمال العراق، بحيث تكون الأوضاع في شمال شرق سورية وشمال العراق، ذريعة للبقاء في المنطقة ككل، وجعلها «قاعدة» أو «حيز» انطلاق لاستهدافات عسكرية وأمنية وسياسية فيها، متى أرادت؛ كما تحاول:

- ضبط التوتر وموازنة الموقف بين حليفيها الرئيسيين: تركيا والكرّد. ويمكن للولايات المتحدة أن تدفع بهما لـ«التوافق» على ترتيبات ما على الحدود.
- جذب تركيا إليها في إطار الصراع الأمريكي الروسي في المنطقة والعالم.

- احتواء أي مشروعات معروض أو محتمل للتوافق بين «قسد» والدولة المركزية في دمشق، وأنّ الرهان على الأمريكي يدفع «قسد» لرفع سقف المطالب، بل حصار المؤسسات الحكومية، وابتزاز دمشق، ممّا يُجهض أي محاولات للحوار بقصد التوصل إلى حل/تسوية بين دمشق وكردها.

- تعزيز عوامل بقاء الكيانية الكردية في شمال العراق، وضبط التوترات القائمة والمحتملة بينها وبين الدولة المركزية في بغداد، وثمة مخاوف متزايدة في العراق من تمركز «الموساد» الإسرائيلية في الإقليم.

- خلط الأوراق في المشهد السوري والإقليمي (والعالمي)، و«احتواء» سياسات «الوصل» الجغرافي والإستراتيجي بين سورية والعراق وإيران.

وفي هذا الإطار، يأتي الحديث عن مداولات وتجاذبات أمريكية وتركية عن «استثناء» مناطق سيطرة «قسد» وإدلب من إجراءات «قانون قيصر»<sup>5</sup>، والدفع لحوار واتفاق بين «قسد» و«المجلس الوطني الكردي»<sup>6</sup>، ومطلب تركيا تنظيم ديناميات الاتصال والتبادل وحركة الأشخاص والبضائع والنفط وتعزيزها بين مناطق السيطرة الأمريكية شرق سورية والتركية شمال غرب سورية. بل الدفع باتفاق بين «قسد» وتركيا.

إنَّ الهدف الرئيس أو العميق للولايات المتحدة هو إبقاء سورية في حالة أزمة، و«احتواء» أو «إعاقة» عودتها إلى ما كانت عليه قبل الحرب، مكانةً وقوةً ودوراً، من ثم إعاقة إيران وكسر «محور المقاومة». هذا الهدف يتطلب مد تركيا بعوامل قوة إضافية لتكون قادرة على «احتواء» سياسات إيران ورهاناتها الكبرى في سورية والعراق ومنطقة غرب آسيا.

لكن هذا يعرض أيضاً مخاوف لدى الولايات المتحدة بشأن تركيا نفسها من احتمال أن تشهد تحولات أو مراجعات تجعل منها مصدر تهديد لأمريكا وإسرائيل، ولو أنَّ ذلك احتمالاً ضعيفاً. وهكذا فإنَّ التقارب الأمريكي-التركي ومشروع «المنطقة الآمنة» يمكن أن يمثِّل «مُخَرَّجاً» مؤقتاً لتجاذبات تركيا وأمريكا والکرد، لكنَّه يمثِّل منطلقاً لاحتتمالات بالغة الخطورة.

5. حول التجاذبات والمداولات حول استثناءات من عقوبات قيصر، انظر مثلاً: «أميركا لاستثناء» مناطق خارج سيطرة النظام السوري» من عقوباتها، الشرق الأوسط، 12 آذار/مارس 2022). و «ما سر الاستبعاد الأمريكي لإدلب من استثناءات عقوبات «قيصر»؟»، عربي 21، (17 أيار/مايو 2022).

6. «واشنطن تستعجل لم شمل الأكراد... حتى لا «ترعل» أنقرة»، الأخبار، (19 نيسان/أبريل 2022). و«حراك أمريكي لاستئناف الحوار الكردي السوري»، العربي الجديد، (18 نيسان/أبريل 2022).



## رابعاً- موقف تركيا

يمثّل التفاهم التركي-الأمريكي حول شرق الفرات، مناسبة لتحقيق هدف أردوغان الملازم للأزمة السورية، وهو إقامة «منطقة آمنة» على الجانب السوري من الحدود، تقول تركيا إنّها سوف تتولاها، ابتداءً ثمّ توسعياً لتشمل منطقة الجزيرة أو ما أمكن منها، وبعد ذلك تهيئة الظروف لإعادة اللاجئين<sup>7</sup>، بالتوازي مع إعلان أردوغان عن أنّ «إعادة إعمار» المنطقة سوف تقوم به شركات تركية<sup>8</sup>.

إذ تريد تركيا من ذلك:

- «احتواء» الاندفاعة الكردية في شرق الفرات، ومنع تأثيرها على كرد تركيا.
  - «احتواء» عودة سورية إلى ما كانت عليه قبل الحرب، قوّة ومكانةً ودوراً إقليمياً.
  - «احتواء» رهانات وتطلعات إيران وروسيا في الإقليم عن طريق سورية، وهما «خصمان تاريخيان» لتركيا، كما هو معروف.
  - تستفيد تركيا من التجاذبات بين روسيا وأمريكا وسباقهما لكسبها، بقدر أكبر من المكاسب وقدر أقل من الخسائر لها.
  - يمثّل التدخل فرصة سانحة لتحقيق الأطماع التركية في الجغرافيا السورية، سواءً بالضم المباشر أم إقامة كيانية موالية لها، يمكن أن تضمها إليها في وقت لاحق.
- من المناسب التدقيق في تطورات رئيسة:

- إقامة تركيا تشكيلات سورية مسلحة موالية لها، وتمكينها من السيطرة على مناطق شمال حلب ومناطق «شرق الفرات»، وعدم السماح لـ«جبهة النصرة» بالتمدد هناك.

7. انظر مثلاً: «منطقة آمنة في سورية: مشروع تركي يصطدم بمعوقات أمنية وسياسية»، العربي الجديد، (8 أيار/مايو 2022). ومايكل يونغ، «الشمال السوري من شرهه إلى غربه»، موقع مؤسسة كارنيغي، (11 أيار/مايو 2022).

8. انظر مثلاً: «أردوغان: تركيا تجهز مشروعاً لإعادة مليون سوري «طواعية»»، الشرق الأوسط، (4 أيار/مايو 2022).

- تمكين تركيا «جبهة النصر» من السيطرة على أكثر منطقة إدلِب، خلافاً لالتزاماتها المتكررة في عملية إستانة، بما في ذلك من تداعيات ورسائل موجهة إلى سورية وروسيا وإيران، من إمكان أن تنقلب تركيا على تفاهات إستانة، وتعمل على تغيير المشهد في حلب وعموم الشمال السوري وحتى ريف اللاذقية الشمالي.
- الثاني هو تأييد «أبو محمّد الجولاني» زعيم «جبهة النصر» لتدخّل تركيا في «شرق الفرات».
- قول تركيا إنّها سوف تعيد إعمار المنطقة، وتهيئها لعودة اللاجئين السوريين إليها!<sup>9</sup>
- لكن التطور الأهم يتمثل بالدفع نحو اتفاق بين «قسد» و«المجلس الوطني الكردي»<sup>10</sup>، والأخير موال لتركيا، ومحاولة الربط بين منطقتي السيطرة الأمريكية والتركيبية، في مظلة تفاهم تركي أمريكي<sup>11</sup>. يعزّز هذا الواقع التركي والجهادي في إدلِب، ويجعل أمريكا أكثر التزاماً بدعم خطط ورهانات تركيا هناك، وخاصة أنّ تركيا سوف تربط موقفها من «قسد» بموقف أمريكا من إدلِب.
- ويمكن القول إنّ تركيا ليست رافضة أو معادية بالتمام لإنشاء كيانية في شرق الفرات، على غرار الإقليم الكردي شمال العراق، أي: أن تكون «غير معادية» لتركيا، ومرتبطة اقتصادياً وإستراتيجياً بها. فإذا أمكن لـ «الإدارة الكردية» في منطقة الجزيرة أن تلتزم بما تلتزم به «الإدارة الكردية» في شمال العراق، فذلك لا يمثّل تهديداً لتركيا، بل يمثّل فرصة<sup>12</sup>.

### خامساً- موقف روسيا وإيران

تحاول روسيا وإيران «احتواء» التدخل التركي والأميركي في منطقة الجزيرة، عن طريق تشجيعهما الكرد على التواصل مع دمشق، ويهدف التوصل إلى اتفاق بينهما يفضي إلى «سد الذرائع» أمام تركيا ومنعها التدخل. ويمكن أن تقوم الدولتان، روسيا بصورة أساسية، بدور الضامن

9. انظر مثلاً: «أردوغان: تركيا تجهز مشروعاً لإعادة مليون سوري «طواعية»، الشرق الأوسط، (4 أيار/مايو 2022).

10. «واشنطن تستعجل لم شمل الأكراد... حتى لا «تزل» أنقرة»، الأخبار، (19 نيسان/أبريل 2022). و«حراك أميركي لاستئناف الحوار الكردي السوري»، العربي الجديد، (18 نيسان/أبريل 2022).

11. «خيارات المعارضة السورية: مشروع تقارب مع الأكراد بضغط أميركي»، العربي الجديد، (28 آذار/مارس 2022).

12. الورقة أو الدينامية المقابلة أو المعاكسة، هي حديث تركيا المتواتر عن تفاعلات ولقاءات مع سورية من أجل «احتواء» أخطار انفصال أو إقامة كيانية كردية في شرق الفرات. هذا للضغط على الكرد، وخاصة أنّ أمريكا لا تقدم التزامات بعيدة المدى تجاههم أو هي لا تظهر ذلك. وأظهرت أمريكا في مناسبات عديدة أولوية مصالحها مع تركيا على مصالحها مع «قسد».

لأي اتفاق محتمل، لكنهما لا يملكان قوة تأثير متكافئة على الطرفين، ومن ثمّ فمن المفترض أنّهما أقرب للتأثير على دمشق التي «لا تثق كثيراً» بما يقوله أو يقدمه الكرّد، وخصوصاً أنّها حيرتهم في مداولات وجولات تفاوض مختلفة، كما أنّهما لا يملكان قوة تأثير مكافئة لتأثير الولايات المتحدة على «قسد»، ولو أنّ لإيران قوة تأثير أكبر نسبياً حيال الإقليم الكردي في شمال العراق. وكانت من عوامل إحباط المحاولة الانفصالية/استفتاء الانفصال في العام<sup>13</sup>.

### - روسيا

تحاول روسيا التدخل من أجل «تقليص» النطاق الجغرافي وحتى الرمزية السياسية لما تحاوله تركيا، بحيث يكون «منطقة عازلة» أو «شريط عازل» بدلاً من «منطقة آمنة» وفق المنظور التركي، وأن تكون القوات السورية على خطوط الحدود، فيما ترفض تركيا ذلك، ولو أنّ الأخيرة أظهرت مرونة نسبية، حيال إحلال قوات سورية في مناطق الحدود بدلاً من «قسد»، بعد أن كانت ترفض أو تتحفظ على ذلك<sup>14</sup>.

تبدو روسيا «مترددة» في الضغط على تركيا، التي تبدو أقل استعداداً لتلقي ملاحظاتها أو ضغوطها، وخاصة أنّ لديها بديلاً أقرب إليها وهو الولايات المتحدة. وسبقت الإشارة إلى أنّ الولايات المتحدة وروسيا «تتنافسان» على جذب تركيا. ولو أنّ روسيا تعزّز وجودها العسكري في مطار القامشلي ومناطق أخرى، كما تُسيّر دوريات مشتركة مع تركيا في عدد من مناطق الحدود ونقط التماس بين مناطق سيطرة «قسد»، ومناطق سيطرة والمليشيات الموالية لتركيا<sup>15</sup>. وتعزّز وجودها العسكري المشترك مع الجيش السوري في مناطق الشمال<sup>16</sup>.

13. عقيل سعيد محفوض، «تداعيات استفتاء كردستان العراق على تركيا وإيران؟»، الميادين، (4 تشرين الأول/أكتوبر 2017).

14. مع كل تلويح بعملية عسكرية/اعتداء تركي على مناطق سيطرة «قسد»، تحاول تركيا إظهار توافق موضوعي، وربما مباشر بينها وبين دمشق على ذلك، في إطار احتواء مشروع انفصالي. وتلتقط دمشق الفكرة، فتعلن في كل مرة أنّها لا تقيم أي حوار مع أنقرة ضد «قسد».

15. «تركيا وروسيا تستأنفان الدوريات المشتركة شمال شرقي سوريا»، الشرق الأوسط، (12 نيسان/أبريل 2022).

16. انظر مثلاً: «تأهب عسكري روسي - سوري شمال شرقي سوريا مع تصاعد التهديدات التركية»، الشرق الأوسط، (10 حزيران/يونيو 2022).

## - إيران

كما تبدو إيران في «موقف حرج» نسبياً أمام تركيا، وذلك لسببين رئيسيين: الأول هو عدم رغبتها بالمواجهة معها، وهي التي تمثل نافذة لها على العالم في ظل عقوبات أمريكية خانقة ضدها؛ والآخر هو عدم رغبتها بالضغط على تركيا بما يمكن أن يدفع الأخيرة للخروج من عملية إستانة وتفاهاتها. وهكذا تُفضّل إيران تدبّر سبل أقل حدة حيال تركيا. ولو أنّها أعلنت رفضها لأي عملية عسكرية/اعتداء تركي في شمال وشمال شرق سورية، بذريعة «فسد»<sup>17</sup>.

## سادساً- موقف الكرد

تعيش «الإدارة الذاتية» في شرق الفرات مأزقاً وجودياً بمعنى الكلمة، ذلك أنّ مشروعها وكيانيتها وأحلامها، تحت تهديد تركي مستمر، في ظل مخاوف متزايدة لديها من «تخلّ» أمريكي وشيك أو محتمل عنها، بعدما أطلق الأمريكيون إشارات متناقضة حول علاقتهم بها. هو مأزق مركب إذ:

- تبدو خيارات الكرد كلها سيئة تقريباً، لكنّهم ما زالوا يراهنون على الولايات المتحدة، ولم يغيّروا من ذلك، حتى مع تفضيل الأخيرة لعلاقتها مع تركيا على حسابهم<sup>18</sup>.

- ثمة إلى ذلك مأزق التقديرات الخاطئة لديهم، إذ مع أنّ «درس عفرين» ودروس ما يسمّى عملية «نبح السلام» وغيرها ماثل أمامهم، إلا أنّه على ما يبدو بلا فائدة تقريباً، فهم يريدون الحماية من الدولة السورية لكن من دون مقابل سياسي تقريباً، حتى التعهّدات التي يقدمونها للدولة لا يبدو أنّهم قادرون على الالتزام بها. ويريدون انتزاع مكاسب وتنازلات منها تحت تهديد اللحظة، ويؤسّطون روسيا بالأمر، لكنّهم مع ذلك قد «لا يتلقون نصائحها» أو أنّها «لا تمون» عليهم كثيراً عليهم. فيما يقول الكرد: إنّ السلطات السورية لا تتعاطى معهم بجدية، وأنّها غير مستعدة لتقديم «عرض مناسب» لهم.

17. انظر مثلاً: «هل تتصدّى إيران للعملية التركية في شمال سوريا وما علاقة تأجيل زيارة عبداللهيان لأنقرة؟»، النهار، (7 حزيران/يونيو 2022). وانظر: «هل تغامر أنقرة بعملية عسكرية شمال سورية؟»، العربي الجديد، (6 حزيران/يونيو 2022).

18. عقيل سعيد محفوظ، مزاولة المستحيل! تحرير الكرد من الزهان على الأمريكيّ ومن الارتهان له، (دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، مداد، تشرين الثاني/نوفمبر 2018).

- يمكن للولايات المتحدة أن تدفع الكرّد «للتوافق» مع تركيا، ثمّة مؤشرات متزايدة على ذلك. وقد أعلنوا في السابق موافقة مشروطة على إقامة «منطقة آمنة»، على أن تكون ب«ضمانات دولية»! وهامهم اليوم - كما سبقت الإشارة - أكثر تقبلاً لعروض أمريكية وتركية بشأن العلاقة مع «المجلس الوطني الكردي» - الموالي لتركيا - ومناطق سيطرة تركيا والمليشيات الموالية لها في شمال سورية، وخاصة في ريف حلب ومنطقة إدلب.

### سابعاً - موقف سورية والعراق

فاضلت دمشق - لبعض الوقت - بين تحديين رئيسيين متبقيين هما: إدلب وشرق الفرات، مع الشعور المتزايد - وربما المتسرع نسبياً - بأنّ الأزمة أصبحت قاب قوسين أو أدنى من نهايتها السعيدة، لكنّ الأمور راوحت في مكانها، ثم أخذت تزداد خطورةً، وخاصة مع تعديل واشنطن لإستراتيجيتها المعلنة تجاه سورية، وتأكيداً أنّها سوف تبقى فيها لمواجهة طهران ودمشق، و«ضبط» الموقف في بغداد، ثم تغيير النمط بالتوافق مع تركيا لإدارة الملف في شرق الفرات أو منطقة الجزيرة، وشمال العراق.

لا يقلُّ الوضع في إدلب خطورةً، إذ تقف التفاهات بين روسيا وإيران من جهة وتركيا من جهة أخرى حائلاً دون استعادة السيطرة على إدلب، ذلك أنّ تركيا واقفة على جانبي تحالفات واستقطابات ومساومات في الأزمة السورية، و«تكسب» من المروحة بين الولايات المتحدة في شرق الفرات، و«تكسب» من روسيا (وإيران) في إدلب. ممّا يجعل سورية أمام «تحديات ولودة» بالفعل، وتهدّد بتطورات «نكوصية» بالغة الخطورة، ما لم يُعطَ معها وإدارتها بالسرعة والفعالية المطلوبة!

وفيما تمثل «الإدارة الكردية» في شمال العراق منوالاً «للإدارة الذاتية» في منطقة الجزيرة السورية، فإنّ العراق أمام إكراهات وتحديات متزايدة، ذلك أنّ الموقف بين بغداد وكردها، «ينوس» بين أقصيين ما يزالان بعيدين: الأول، هو الحل/التسوية، ودونه صعوبات كثيرة، ويبدو أقرب لمزاولة المستحيل. والثاني، هو الانفصال، ويبدو أقرب للإمكان، ولو أنّ ذلك ينطوي على أخطار انفجار نزاعات وحروب تتجاوز الموقف بين بغداد وأربيل، إلى داخل المجال الكردي نفسه من جهة، وإلى مستوى الإقليم.

ومن الصعب فهم الموقف من دون أخذ العوامل الإقليمية والدولية - وخصوصاً أميركا وإسرائيل - بالاعتبار، ومثل ذلك العوامل الداخلية المتمثلة بالانقسامية الحادة نسبياً داخل العراق نفسه على كل ما يتصل بالداخل والخارج، بما في الموضوع الكردي! وهذا باب فيه كلام كثير.

## أخطار مركبة

تزداد التدخلات الأمريكية والتركية حدةً وخطورة، مع شعور الدولتين أن سورية والعراق تعانيان «إجهاداً» كبيراً بعد سنوات من الحرب، وعدم الاستقرار، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعسكرياً، وأن حليفها سورية مثلاً، أي: إيران وروسيا، محكومين برهانات وتقديرات تجعلهما أقل اندفاعاً حيالها، وهي قد لا تستطيع مباشرة أهدافها بمفردها في مواجهة الولايات المتحدة وتركيا<sup>19</sup>، وحلفائهما الموجودين هناك مثل فرنسا وبريطانيا وغيرها. فيما يبدو العراق مجهداً بواقع وتداعيات الاحتلال والحروب والنزاعات، ولعلّ الأهم هو الانقسامية السياسية الحادة نسبياً، حيال ما يمثل تهديداً - فرصة، وما يمثل حليفاً - عدواً، ذلك أن حليف أحد الأطراف هو عدو أطراف أخرى، والعكس.

تواجه سورية والعراق اليوم أخطاراً وتحديات من جهات عديدة، وعلى مستويات عديدة:

- تركيا المستفيدة من اقتربها من أميركا. والتي تحتلّ مناطق واسعة من سورية، فيما تقيم تمركزاً مديداً في مناطق شمال العراق، بذريعة محاربة «حزب العمال الكردستاني» التركي.
- إيران «المحرّجة» نسبياً عن اتخاذ موقف ضد تركيا.

- روسيا المترددة بسبب عدم الرغبة بإزعاج تركيا. ولو أنّها تمارس ضغوطاً مباشرة وغير مباشرة عليها لثنيها عن عملية عسكرية، أو احتواء، أو ضبط الاندفاع التركية، وذلك عن طريق التواصل مع تركيا للبحث في بدائل و ضمانات، وإن لم يكن، فبرسم حدود التدخل العسكري وخطوطه، وغير مباشر عن طريق تعزيز وجودها العسكري المباشر في مناطق شرق الفرات ومناطق الحدود مع تركيا، والأهم هو الدفع للتنسيق بين «قسد» ودمشق.

19. تحديث الرئيس السوري بشار الأسد عن أنّ الظروف العسكرية لا تسمح بمواجهة مباشرة بين سورية وكل من الولايات المتحدة وتركيا، انظر: حديث الرئيس بشار الأسد، روسيا اليوم، وكالة الأنباء السورية، سانا، (9 حزيران/يونيو 2022).

- الكُرد في سورية والعراق، «المبتزين»، والذين لا يتردّدون في اتخاذ مواقف حادّة حيال دمشق وبغداد، ويرتدون عن «نفاهاتهم» معهما، كلٌّ وفق البلد والحال، ارتباطاً بالموقف الأمريكي أساساً.

- أمريكا التي لا تريد مغادرة سورية والعراق، أو أنّها تريد خلق «بدائل» قبل ذلك، وقد تركزت في مواقع قريبة، على جانبي الحدود بين العراق وسورية. لأهداف منها: «احتواء» الوصل الجغرافي والإستراتيجي بين سورية والعراق وإيران، وعدم حلفائها في شمال العراق ومنطقة الجزيرة السورية، وإدارة الموقف مع تنظيم «داعش».

### التهديد

يمثّل التقارب الأمريكي التركي تهديداً، بمعنى:

- إنّه يعطي تركيا إمكانية التدخّل في شرق الفرات وشمال العراق، ويجعلها أقرب للولايات المتحدة، أو في وضع «المفاوض المتطلب» و«القوي» تجاه روسيا، وإيران، والعراق، وسورية.

- قد تميل روسيا وإيران للاستجابة لمطالب تركيا أكبر ممّا كانتا في السابق، وهذا قد ينسحب على الموقف في إدلب. وكذلك الأمر بالنسبة لإيران في العراق، وذلك من باب التقليل من اندفاعته (تركيا) نحو الولايات المتحدة.

- تحاول تركيا أن تقيّم أوضاعاً وتخلق بني واستعدادات كيانية أو شبه انفصالية، ترتبط بأطماع جغرافية في سورية، وكذلك الأمر بالنسبة لإعداد بيئة وجود عسكري وإستراتيجي دائم أو شبه دائم في مناطق في شمال العراق (كما تتكرّر الإشارة).

### - الفرصة

يمثّل التقارب بين تركيا والولايات المتحدة حيال شرق الفرات، أو منطقة الجزيرة السورية وشمال العراق فرصة أيضاً، إذ يمكن أن:

- «يُباعِدُ» إلى حدٍّ ما بين كرد سورية \_أو بعض تيارات وفواعل الإدارة الذاتية- والولايات

المتحدة، و «يُحَقِّفُ» من رهانهم عليها، ولو أنَّ من الصعب أن «يقطع» بينهما، هذا على افتراض قراءة عقلانية وإستراتيجية للموقف من قبل الكرد.

- «يعزّز» التقارب بين دمشق وكردها، ويجعله خياراً لا بدّ منه، ويدفعهما للتوصّل إلى اتفاق كان ما يزال متعذّراً، لأسباب عديدة. ويبدو أنّ السلطات السورية أكثر انفتاحاً تجاه المطالب الكردية.

- يساعد العراق، بحكم الترابط المصلحي والإستراتيجي مع أمريكا، على ضبط الاندفاع التركية في الشمال، ولو أنّ هذا أمر أقل احتمالاً، ويتطلّب وجود قابلية نشطة للعمل من قبل العراق نفسه.

- يعزّز ديناميات الاستجابة المعاكسة لدى العراق والفواعل المتضررة مثل: إيران وسورية، وبعض الفواعل الكردية المعارضة في أربيل والإدارة الذاتية، لاحتواء أي أضرار محتملة جراء ذلك. وقد يعزّز ديناميات تنسيق أعمق وأوسع نطاقاً.

- يدفع روسيا وإيران لمراجعة تقديراتهما تجاه تركيا وتفاهاتهما معها، ممّا يفترض أن يدفعهما أيضاً لمراجعة الموقف حيال مطلب أو مسعى دمشق لاستعادة السيطرة على إدلب والأراضي التي تسيطر عليها تركيا والمليشيات الموالية لها.

لا يعني التوافق الراهن بين تركيا والولايات المتحدة تفكيك التوترات القائمة والعقد الكامنة بينهما، ومن المحتمل أن يتغيّر المشهد بينهما، في حال شهدت العلاقات بين روسيا والولايات المتحدة تقارباً أيضاً، وهذا احتمال قد يكون بعيداً، في ظل الاحتمال القائم بينهما في أوكرانيا<sup>20</sup>، أو على الأقل ضبطاً للتوترات بينهما حيال سورية وغيرها من القضايا العالقة بينهما.

### ثامناً- الإشارات والتنبيهات أو أيُّ استجابات ممكنة؟

يتطلّب الموقف العمل على دراسة الاستجابات الممكنة من قبل دمشق وبغداد وحلفاء كل منهما، على وفق البلد والحال، تتمثّل ب:

20. انظر: عقيل سعيد محفوض، سياسات خريجة: تداعيات الأزمة الأوكرانية على سورية، منظور التهديد-الفرصة، (بغداد: مركز البيان للدراسات والتخطيط، نيسان/أبريل 2022).



- تحذير تركيا من أنّ توسيع التدخل العسكري في منطقة الجزيرة السورية وريف حلب، يمكن أن تكون له تبعات خطيرة على أمنها ومصالحها، وخاصة إذا اتجهت الأمور إلى مواجهة مباشرة.
- العمل لدى روسيا وإيران للضغط العاجل والنافذ - ما أمكن - على الموقف الأمريكي والتركي لـ«ردعهما» عن القيام بما من شأنه أن يخلق واقعاً ميدانياً يهدّد وحدة الأراضي السورية واستقلالها.
- العمل على جذب الكرّد - إن أمكن ذلك - إلى اتفاق مع دمشق بما يجعل الدفاع عنهم ممكناً، وتأجيل البحث في بعض النقط الخلافية لمرحلة لاحقة، وسوف يكونوا عندئذٍ قوة سياسية وعسكرية مضافة للدولة والجيش السوريين.
- سوف يمثّل الاتفاق بين دمشق وكردها، في حال حدوثه، «سدّاً للذرائع» أمام مزيدٍ من التدخّل العسكري التركي في منطقة الجزيرة وريف حلب.
- لا بدّ أن يكون «درسُ عفرين» والدروس الأخرى ماثلة أمام الكرّد، ومنها درس الاستفتاء بالنسبة لكرّد العراق، لجهة الأثمان المهولة التي يمكن أن يدفعوها، والتداعيات المهولة أيضاً على سورية والعراق خاصة، وعلى المنطقة عامة. وأن تكون الدروس ماثلة، هذا يعني:
- التركيز على «ما يمثّل أصلاً» في «مصادر التهديد»، وهو تركيا وأطماعها الجغرافية و«عدواتها المتأصلة» للكرّد وللسوريين والعراقيين عموماً، ورهانتها للسيطرة عليهم.
- التعاطي العاجل والجاد مع التهديد التركي، والتعاون بين دمشق والكرّد لتدبر السبل المناسبة لاحتوائه.
- اتخاذ السلطات السورية إجراءات لـ«احتواء» الكرّد أو بالأحرى «استقطابهم»، ما أمكن، إلى جانب الدولة وذلك عن طريق:
- التدخّل لدى عرب شرق الفرات، وخصوصاً المكوّن العربي في «الإدارة الذاتية» و«قوات سورية الديمقراطية»، لمحاولة التأثير الإيجابي على القرار الكردي.
- التدخل - إن أمكن - لدى القيادات الرئيسة لحزب العمال الكردستاني في «جبال قنديل».

- الطلب من روسيا وإيران التمدُّل لدى القيادات الكردية، نظراً لعلاقتها المباشرة معها، وتأثيرها عليها.

- أن تُقَدِّم السلطات السورية والعراقية على إقامة تفاهات (وتقديم التزامات) مع الكرد، واتخاذ إجراءات عملية وسياساتية تستجيب تدريجياً وعلى المدى الطويل لمطالب الكرد، ما أمكن منها، مع إمكانية «إعادة الحوار» أو «إعادة تأويل» أو «إعادة تشكيل» تلك التفاهات، و«مراجعة» الإجراءات والسياسات وُفق تطورات الأمور، و«موضعة» كل ذلك في سياق «إعادة البناء» الاقتصادي، والسياسي، والتنموي، والقانوني، والتشريعي... إلخ، في سورية والعراق.

- التنسيق بين العراق وسورية، والفواعل الأخرى، من أجل محاربة الإرهاب واحتواء تنظيم «داعش».

- التنسيق، ما أمكن، بين العراق وسورية، لـ «احتواء» تموضع إسرائيل في مناطق الكرد لديهما، بكل تأثيراته القائمة والمحتملة على الأمن الوطني لكلٍ منهما. وإذ تتداخل سياسات إسرائيل ورهاناتها مع سياسات أمريكا وتركيا ورهاناتهما في المنطقة.

- وإذ تتجه «الإدارة الذاتية» وحلفائها لتعزيز الكيانية الانفصالية في منطقة الجزيرة، فإنَّ ديناميات الانفصال الكردي ودوافعها وتطلعاتها في شمال العراق ما تزال ماثلة، ثمَّة ما هو أبعد من ذلك، وهو إمكان الدخول في مواجهات عسكرية على «المناطق المتنازع عليها» بين أربيل وبغداد.

## في الختام

يشكّل المجال الكردي في سورية والعراق حيّز تغلغل واختراق إقليمي ودولي، وخاصة أمريكا وإسرائيل، وبالخصوص تركيا؛ وحيّز نزاع داخلي، في كلّ من البلدين، تتجاوز تأثيراته حدود كلّ منهما إلى الإقليم والعالم. ولكن احتواء التحديات القائمة والمحتملة بخصوص الكُرد، يتطلّب سياسات عميقة وبعيدة المدى، و«تسويات تاريخية»، تحفظ للكُرد حقوقهم وتستجيب لهواجسهم وتطلعاتهم، إنّما في أفق دول ومجتمعات تعددية وآمنة ومستقرة، وتعاون إقليمي واسع النطاق.

ولعلّ أهم استجابة بهذا الخصوص هي «توسيع الأفق»، والركون إلى بدايات التاريخ والسياسة، إن أمكن التعبير، والتوافق على: من هو العدو، ومن هو الصديق؟ والتحرُّر من إكراهات التدخلات الخارجية، وتحرير السياسة من العقد والمدارك النمطية... إلخ هذه مهمة لا شكّ ثقيلة ومعقّدة، ولكنها ممكنة.